تفسير إبن كثير

فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا

يأمر تعالى عبده ورسوله محمدا صلى االله عليه وسلم أن يباشر القتال بنفسه ، ومن نكل عليه فلا عليه منه ; ولهذا قال : (لا تكلف إلا نفسك)قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن عمرو بن نبيح ، حدثنا حكام ، حدثنا الجراح الكندي ، عن أبي إسحاق قال : سألت البراء بن عازب عن الرجل يلقى مائة من ، فيقاتل ، أيكون ممن يقول االله : (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) [البقرة : 195] قال : قد قال االله تعالى لنبيه صلى االله عليه وسلم (فقاتل في سبيل االله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين)ورواه الإمام أحمد ، عن سليمان بن داود ، عن أبي بكر بن عياش ، عن أبي إسحاق قال : قلت للبراء : الرجل يحمل على المشركين أهو ممن ألقى بيده إلى التهلكة ؟ قال : لا ; لأن االله بعث رسوله صلى االله عليه وسلم وقال : (فقاتل في سبيل االله لا تكلف إلا نفسك) إنما ذلك في النفقة .وكذا رواه ابن مردويه ، من طريق أبي بكر بن عياش ، وعلي بن صالح ، عن

أبي إسحاق ، عن البراء به .ثم قال ابن مردويه : حدثنا سليمان بن أحمد ، حدثنا أحمد بن النضر العسكري ، حدثنا مسلم بن عبد الرحمن الجرمي ، حدثنا محمد بن حمير ، حدثنا سفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال : لما نزلت على النبي صلى االله عليه وسلم : (فقاتل في سبيل االله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين [عسى االله أن يكف بأس الذين كفروا]) الآية ، قال لأصحابه : " قد أمرني ربي بالقتال فقاتلوا " حديث غريب .وقوله : (وحرض المؤمنين) أي : على القتال ورغبهم فيه وشجعهم عنده كما قال لهم رسول االله صلى االله عليه وسلم يوم بدر ، وهو يسوي الصفوف : " قوموا إلى جنة عرضها " .وقد وردت أحاديث كثيرة في الترغيب في ذلك ، فمن ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " آمن باالله ورسوله وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وصام رمضان ، كان حقا على االله أن يدخله الجنة ، هاجر في سبيل االله أو جلس في أرضه التي ولد فيها " قالوا : يا رسول االله ، أفلا نبشر الناس بذلك ؟ فقال : " إن في الجنة مائة درجة ، أعدها االله للمجاهدين في سبيل االله ، بين كل درجتين كما بين السماء والأرض ، فإذا سألتم االله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة .

وأعلى الجنة ، وفوقه عرش الرحمن ، ومنه تفجر أنهار الجنة " .وروي من حديث معاذ وأبي الدرداء وعبادة نحو ذلك .وعن أبي سعيد الخدري أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال : " يا أبا سعيد ، من رضي باالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا ، وجبت له الجنة " قال : فعجب لها أبو سعيد فقال : أعدها علي يا رسول االله . ففعل . ثم قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " وأخرى يرفع االله بها العبد مائة درجة في الجنة ، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض " قال : وما هي يا رسول االله ؟ قال : " الجهاد في سبيل االله " رواه مسلم .وقوله : (عسى االله أن يكف بأس الذين كفروا) أي : بتحريضك إياهم على القتال تنبعث هممهم على مناجزة الأعداء ، ومدافعتهم عن حوزة الإسلام وأهله ، ومقاومتهم ومصابرتهم .وقوله : (واالله أشد بأسا وأشد تنكيلا) أي : هو قادر عليهم في الدنيا والآخرة ، كما قال [تعالى] (ذلك ولو يشاء االله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض [والذين قتلوا في سبيل االله فلن يضل أعمالهم]) [محمد : 4] .